« سيلة الظهر »

اسمحوا لي أيها السادة
ان حدتتكم عنهـا
فاني من يديهـا
القهوة المرة أسقتني
وصبّت لي نبيذا
أنصتت لـي
قبلتنـي
وعلى كتفي أغفت
واستزادتني حكاياتي
عن الطير المسافر
في سماء النار
ـ يا طيري المهاجر
حطّ عند الكتف لمحة
خذ لعينيهـا
من العازف
والناي المعنّى
نغمـة
خذ .. وانتظرني
انني اجترح الصيف الذي تعشقه
أم الجدايل
من جبـال الثلج
والمستنقعات
صيفنا الطالع في كل السماوات
وفي الليـل
وفي عزّ النهار
نجمة ظهرية .. ليس يراها
غير من يسحق حتى الموت
من يمشي ذبيحـا
ويقـوم
آه يا أمّ « الخلايل »
سيلة الظهر التي غنيتهـا
ـ « سيلة بلدنا ..
والدّما مزرابها
طول الزمـن
واولادهـا
غرب .. حزانى
وضايعين .. مشـين
الصحرا عافتهـم
وحارات المدن المعتّمة
جاني عليهم بابها
وبوّابها .. »
ـ آه كم واعدتهـا
في الصيف قـادم
في الصيف قادم
فانتظريني
عند كرم التين
في تل « الصيافير » (١)

أراها .. ليلكية
حلما ،
سيفا ،
أساطير الليالي ،
القهوة ،
النارنج ،
والعشب ،
الندى ،
والنبع ،
والبخور ،
والجمر الشتائيّ ،
الهوى ،
والشوق ،
رؤيا ليلكيـة
ـ يا صبيـة
نحن مذ كنا صبيين .. نذرنا
فانتظرنا
صيفنا الآتي على سنبلة
شتتت حباتها السمراء
في الارض الاعاصير
فهاجرنـا
وصدتنا المهاجر
أنت بعد البحر مرسى
وانا في البحر
موج البحـر
لا يرجع او يخشى المخاطر
انت يا مكحولة العينين
من زيتوننا
الغافي على طفليـن
كنـا
والتقينا
يا لنـا
في بالنا .. كانت حكايات كثيرة
هربت منا .. الينا
فارتعشنا
اذ طوتنا يقظة النار
على سهل الشمال
ـ آه يا ريح الشمال
حملت هبّاتك الحلوة منديلي اليها
شارة حمراء في مفرقهـا
يوغل الركب خفيفا
فرحـا
عاد من دوّامة المنفى
على أكتافـه
ينبت الفولاذ .. والبارود
في طلعتـه
رفت حمامه
ـ يا عروسي بعد عشرين رحيلا
ورحيلا
ورحيـل

لا تلوميني
ففي خفق الخطى عشنا
على مرّ السنين
نتحدّى السوط .. بالكلمة
والحربـة
بالصدر المعرّى
وبمـوت
ويموتون ،
وبحيا .. لنقـاوم
اي موت
جهلته الارض لم يخطف
من الفتيان .. أحلاهم
ولم نهزمه في عرس المعاصر
زيتنا الصافي
اعتصرناه
اعتصرناه
اعتصرناه
اعتصرناه
على ضوء النجوم الحمر
من حبّ العيون
آه ..
يا مترأسنا الصامد في وجه
الجنازير الرّديه
والدمى المحطومة السيقان
والاذرع
والجبهـات
يا « عرس الدم » المنصوب
في أرض اليتامى
مجّدي الزند الذي قطعه السياف
لميّه اليـك
فلقد كان حريصا ان تظلي
يا نبيّة
ـ انني اعطيت لكـن البقية
في غـد
« نذر عليّة
يا أصيلة
اللي ضايل ،
من ايديّة
ومن عنيّة
فدوة يا جلوة .. وهدية
وسامحيني .. »
ان أنا قصرت عند السفح
فالحبل انقطع
والذي يربطني بالحبل
شرياني .. ورمشي
احترقا ..
فهويت
رئتي مشبوكة بالصخر
ما زالـت
فمدّي لي يديك

خالد ابو خالد

---

* قريـة الشاعر
(١) مكان على مشارف القرية